

المحاضرة 6

أراء العلماء القدامى في اللهجات

تعريف اللهجة:

يُفهم من معنى اللهجة في المعاجم العربية، أنها اللغة أو طريقة أداء اللغة أو جرس الكلام ونغمته. اللهجة في معجم العين "ما جبل عليه الإنسان فاعتادها ونشأ عليها"، وعند ابن فارس: "سميت اللهجة لهجة لأن كُلا يلهج بلغته وكلامه". ويعرفها المحدثون بأنها: "الصفات أو الخصائص التي تتميز بها بيئة ما في طريقة أداء اللغة ونطقها". والخصائص المميزة تتحقق في مستويات اللغة المختلفة (- الصوتي: كنطق القاف كافا مثلا، وتقخيم صوت عند البعض أو ترقيقه.. - الصرفي: قد يختلف وزن كلمة من لهجة إلى أخرى - تركيب الجملة: ويظهر ذلك في التساهل في بعض قواعد اللغة - الدلالي: اختلاف في دلالة بعض الألفاظ...)، والمستوى الصوتي هو الذي يمثل حصة الأسد من الصفات المميزة للهجة من اللهجات.

اللهجة عند القدامى: القدامى لم يكونوا يفرقون بين اللهجة واللغة، فلغات القبائل عندهم هي لهجاتها، ويشهد على ذلك تلك المؤلفات التي ألفوها فجاءت بمصطلح اللغة أو اللغات يقصدون بها اللهجات، مثل: "كتاب اللغات" ليونس بن حبيب (ت 152 هـ)، "كتاب اللغات" للفراء (207 هـ)، "كتاب اللغات" لأبي عبيدة بن المثنى (210 هـ)، "كتاب في لغات القرآن" لأبي زيد الأنصاري (214 هـ)...

كما أنهم اهتموا باللغة العربية الفصحى لغة القرآن وأهملوا اللهجات ونظروا إليها نظرة دونية، ولعل هذا النوع - والقول للسيوطي - من أقبح اللغات وأنزلها درجة، وما وصلنا يتصل ببعض المواضع في كتب التفسير والقراءات، أو تبرير شذوذ في ظاهرة من الظواهر اللغوية

في الشعر أو النثر، لذا فالمعلومات حول اللهجات قليلة والتفصيلات حولها مجرد تخمينات وفروض.

اللهجة عند المحدثين: أما المحدثون فقد اهتموا باللهجات كون الدراسات اللغوية الحديثة (اللسانيات) تولي الأولوية للغة اليومية التي تمثلها اللهجة، لدرجة أنه وجدت أصوات لإحلال اللهجة محل الفصحى في المعاملات الرسمية والبرامج التعليمية والمحتويات العلمية.

عوامل نشأة اللهجات: لظهور اللهجات عوامل وأسباب نجلها فيما يلي:

- **العامل الجغرافي:** هو أهم عامل، كلما فصل بين جماعتين جغرافياً يتحدثون لغة واحدة كلما حدث الاختلاف في أداء اللغة.
- **العامل الاجتماعي:** فالظروف الاجتماعية في البيئات المتعددة الطبقات تساعد على حدوث اللهجات، كل طبقة لها أدائها للغة.
- **العامل السياسي:** انفصال قبيلة أو دولة عن غيرها يساعد على التحرر من اللغة الأولى وتوليد لغة (لهجة) تنطلق من أولى لكنها تستقل شيئاً فشيئاً عنها.
- **الصراع اللغوي:** ويكون هذا الصراع بالاستعمار المسلح، أو بالغزو الثقافي، كما هو حاصل اليوم في واقعنا لأن أصحاب الهيمنة يسعون لتفكيك اللغة المشتركة عند الضعفاء ومزج هذه اللهجات المتولدة بلغتهم.
- **العامل الوراثي:** قد يتحول عيب نطق عند الآباء أو كُتنة مع مرور الأجيال علامة مميزة في أدائهم للغة، وتصبح لهم لهجة خاصة لهم.

صفات اللهجات (هي صفات مذمومة عند القدامى): نذكر منها:

- **الطُّمُطمانية:** قلب اللام في أَل التعريف إلى ميم، الهواء تنطق أمهواء، تنسب لقبيلة حمير والأزد وطيء..
- **العُنُنة:** قلب همزة أنّ إلى عين، فتصح عنّ بدل أنّ، نسبت لـ تميم.
- **الفُحُفحة:** جعل الياء عينا (حتى حين قرئت عتّى حين) نسبت لـ هذيل

- **الْوَثْمُ:** إبدال السين تاء، الناس تصبح النات، نسبت ل اليمين وقضاعة
- **الاستنطاء:** تحويل العين الساكنة إلى نون إذا جاورت الطاء (أعطى - أنطى)، نسبت ل بكر هذيل والأزد..
- **الكسكسة:** إحاق السين إلى الكاف المؤنثة في آخر الكلمة (أكرمتك - أكرمتكيس) نسبت ل بكر، بني هوازن، تميم..
- **الكشكشة:** زيادة الشين بعد كاف التأنيث (عليك - عليكش) نسبت ل ربيعة، مضر، أسد، تميم.
- **الششنة:** تحويل الكاف شينا مطلقا (لبيك - لبيش) نسبت ل تغلب واليمن.
- **العججة:** إبدال الياء جيما في آخر الكلمة (تميمي - تميمج) نسبت ل هذيل.
- **التلثة:** هي كسر الحروف المضارعة (تعملون - تعملون) نسبت ل بهراء، قيس، تميم.

ثانيا: اللغة العربية المشتركة: اختلف المحدثون العرب والمستشرقون حول أصل الفصحى؛ فهناك من رأى بأنها لهجة من اللهجات العربية، وهناك من رأى بأنها خليط من اللهجات. وما وصلنا من اللغة العربية كان في الصورة الأدبية، أما الصورة الشعبية التي تجسد اللهجات لم يصل لنا منها سوى النزر القليل.

- **العوامل المساعدة على تشكل اللغة المشتركة:** نشأت هذه اللغة المشتركة قبل مجيء الإسلام، واحتضنها بيئة قريش بتعاقد عوامل أهمها: العامل الديني، الاقتصادي، والسياسي.
- **العامل الديني:** بيئة مكة كانت منذ عهود سحيقة قبل الإسلام بيئة مقدسة، يحج إليها العرب من كل فج، وهذا ما يؤدي إلى اجتماع جمع غفير من العرب من مختلف القبائل، وفي حجهم هذا يختلطون بأهلها فيقع التأثير والتأثر. وليس الأمر شعوريا بضرورة اختيار لغة قريش للتواصل ولكن يحدث كنتيجة للتفاعل.

وإزداد هذا العامل قوة مع مجيء الإسلام، فالقرآن الكريم نزل على الرسول (ﷺ) بما يهيم من لغة وهو قرشي، حتى أن هناك بعض الأخبار عن الخلفاء تشير إلى أن القرآن نزل بلغة قريش.

- **العامل الاقتصادي:** أهل مكة كانوا تجارا، ينتقلون بتجارتهم في أماكن مختلفة، يرتحلون بها إلى اليمن شتاء، وإلى الشام صيفا. هذا النشاط التجاري الضخم جعل منهم أغنياء، والغنى أهل السلطان، لذلك كانت قبائل العرب الأخرى تقدر من يتحدث بلغة قريش، لهذا من أراد أن يسمع شعره يكتبه بلهجة قريش.

- **العامل السياسي:** هذا العامل فعل بعد مجيء الإسلام، لأن الرسول (ﷺ) المسئول الأول عن المسلمين قرشي، والخلفاء الراشدون من بعده من قبيلة قريش، ولذلك كان للغة قريش الحظوة بين جميع لهجات القبائل الأخرى.

مبدأ اللغة الفصحى في التشكل: يقول السيوطي عن الفراء: "كانت العرب تحضر الموسم في كل عام، وتحج البيت في الجاهلية، وقريش يسمعون لغات العرب، فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به، فصاروا أفصح العرب، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستبشع الألفاظ". فاللغة العربية الفصحى كانت نفعية انتقائية في تعاملها مع لهجات القبائل، تأخذ أفضل ما فيها (في حسن الصوت، وأليف الكلمات، ومطرّد القياسات..)، وهذا ما يفسر خلو لهجة قريش من مذموم صفات لهجات القبائل الأخرى.

أما العلاقة بين اللهجة والفصحى فهي علاقة العام (اللغة) بالخاص (اللهجة).